الواضح لقرارات الشرعية الدولية التي تحكم المفاوضات، وقبول المطلب الاسرائيلي بأن القرار الرقم ٢٤٢ له تفسيران، والتفسيران مطروحان للتفاوض، دخلت المفاوضات الثنائية في مأزق لا مخرج منه، وأصبح تدخل راعيي المؤتمر، الراعي الاميركي الفعّال والراعي الروسي الغائب، هو الاحتمال الوحيد الممكن. وهنا برز من داخل الوفد المفاوض الرأي القائل بالتوقف عن متابعة المفاوضات، اذا لم يتدخل الراعي الاميركي (والروسي) للحسم بقضية المرجعية في المفاوضات.

ثالثاً: الدور الاميركي ـ الشريك الكامل

مرت الرعاية الاميركية للمفاوضات (والروسية شكلاً) في مرحلتين، مرحلة وزير الخارجية الاميركية السابق، جيمس بيكر، الممتدة حتى نهاية الجولة الثامنة، ومرحلة وزير الخارجية الاميركي الحالي، وارن كريستوفر، وادارة الرئيس بيل كلينتون بدءاً من الجولة التاسعة. وفي كلا المرحلتين كان التدخل الاميركي قائماً، خفياً في البداية، وعلنياً ورسمياً بعد ذلك، وتحت شعار «الشريك الكامل... والوسيط النزيه». وفي كلا المرحلتين كان التدخل الاميركي يتمّ لصالح اسرائيل.

كان التدخل الاميركي، في مرحلة بيكر، يتم على طريقة تقديم النصح للجانب الفلسطيني، وكان مضمون هذا النصح، أنه ما دامت هناك خلافات تفاوضية، فلنركز على ما هو متفق عليه، أو على ما تقدمه اسرائيل من تنازلات، ثم لنحاول أن نبني على النقاط المأخوذة من الاسرائيليين. وقد كانت هذه النصيحة الاميركية نصيحة مغشوشة، عنوانها التسليم الفلسطيني بوجهة النظر الاسرائيلية، ومحاولة اقناع الفلسطينيين بلا جدوى محاولات الاصرار على مطالبهم، والتأكيد لهم بأن واشنطن لن تضغط على اسرائيل لتغيير مواقفها.

أما في عهد كريستوفر، فقد تطوّر الموقف الاميركي شكلياً، ولكنه بقي على حاله من حيث المضمون. ففي ظل دبلوماسية الشريك الكامل، تقدمت اسرائيل بمشروع للحكم الذاتي ينسف الاساس الشرعي للمفاوضات، فاقترحت تقسيم الارض وتقسيم السيطرة عليها، خلافاًلشعار «الارض في مقابل السلام»، ورفضت اقامة ربط بين مرحلتي التفاوض على أساس شمول مرجعية القرار الرقم ٢٤٢ للمرحلتين. وتقدم الفلسطينيون، بعد ذلك، بمشروعهم الخاص للحكم الذاتي، وفيه ترجمة عملية لتطبيق مبدأي المفاوضات الاساسيين.

ماذا فعلت واشنطن أمام هذا التعارض؟ لقد كان مفترضاً بدور الشريك الكامل، ان يقدم تفسيراً لمبدأي المفاوضات يستند الى منطق الشرعية الدولية (الاحتلال ـ الانسحاب ـ حق السيادة)، ولكن ما فعلته واشنطن اقتصر على اقتراح ورقة ثالثة تسعى للتقريب بين وجهتي النظر. وهذا النوع من التطبيق لشعار الشريك الكامل، وفي ظل وجود محتل ومحتلين، لا يحمل أي معنى سوى معنى الانحياز للمحتل الاسرائيلي. وحول هذه النقطة نقلت صحيفة «القدس» الصادرة في لندن بتاريخ ١٥/٦/١٩٩٣، عن نائب رئيس الوفد الفلسطيني المفاوض، صائب عريقات قوله: «لا نظن أن الولايات المتحدة [الاميركية] تضطلع بدور الشريك الكامل، أو الحكم، أو الوسيط، ونحن نرى ان ردم الهوة بيننا وبين الجانب الاسرائيلي يقوم على أساس الشرعية الدولية وقرارات مجلس الامن [الدولي]. ولكن يبدو ان السياسة الاميركية تقوم على تقريب الموقفين من دون الرجوع الى الشرعية الدولية أو الاستناد اليها».

وما لم يتغير هذا الدور الاميركي، فإن المفاوضات ستواصل بقاءها في الطريق المسدود. وهنا أيضاً، برز داخل الوفد الفلسطيني المفاوض الرأي القائل بالتوقف عن المفاوضات للضغط على